Lark Journal of Philosophy, Linguistics, and Social Sciences

96 E-ISSN 2663-5836
P-ISSN 1999-5601
Original Research

Journal homepage: https://lark.uowasit.edu.iq

Vol. 18 No3. July 2026, pp.96-109

https://doi.org/10.31185/lark.5536

The stylistic manifestation of existential grief and sorrow in the poetry of Al-Sharif Al-Radi: A study in lexical and semantic structure

Assist. Lect .Russel Naseer Ali Al-Waeli

University of Wasit – College of Physical Education and Sports Sciences

russelnaseer@uowasit.edu.iq

Received Mar.15, 2026 Revised Jun1, 2026 Accepted Jun2, 2026 OnlineJul.1, 2026

ABSTRACT

This research examines the theme of grief and sorrow in the poetry of Sharif al-Radi, one of the most prominent poets of the Abbasid era. His poetry is known for its profound emotion and genuine feeling, particularly in its expression of sadness and pain. This grief was linked to several factors, including the political and social circumstances the poet lived through, as well as personal experiences such as the loss of loved ones and the vicissitudes of life.

Grief is evident in Sharif al-Radi's poetry through his use of evocative imagery and expressive language that reflects a sincere psychological state. His poems address themes of lament, complaint about the times, and contemplation of the human condition, lending his poetry a profoundly humanistic quality. His style is characterized by eloquence and power, along with a clear ability to employ rhetorical devices such as metaphor and simile to highlight feelings of pain and sorrow.

An analysis of selected poems reveals that grief was not merely a fleeting emotion, but rather a fundamental element of his poetic experience, through which he expressed his vision of life and its inherent vicissitudes and suffering. This emotional aspect contributed significantly to the literary value of his poetry, making it resonate deeply with the reader.

In conclusion, it can be said that sadness and sorrow were prominent features of Sharif al-Radi's poetry. Through them, he was able to present a sincere poetic experience that expresses human suffering and pain, thus securing a distinguished place for his poetry in Arabic literature.

Keywords: sadness, sorrow, Sharif al-Radi, poetic imagery, poetic language.

المظهر الأسلوبي للحزن والاسى الوجودي في شعر الشريف الرضي: دراسة في البنية المعجمية و الدلالية

م.م رسل نصير علي الوائلي

جامعة واسط – كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة

russelnaseer@uowasit.edu.iq

الملخص

يتناول هذا البحث موضوع الحزن والأسى في شعر الشريف الرضي، وهو أحد أبرز شعراء العصر العباسي، وقد عُرف شعره بعمق العاطفة وصدق الإحساس، ولاسيما في التعبير عن مشاعر الحزن والألم. وقد ارتبط هذا الحزن بعدة عوامل، منها الظروف السياسية والاجتماعية التي عاشها الشاعر، فضلا عن التجارب الشخصية التي مرّ بها، مثل فقد الأحبة وتقلبات الحياة.

ويظهر الحزن في شعر الشريف الرضي من توظيفه صورًا شعرية مؤثرة وألفاظًا معبّرة تعكس حالة نفسية صادقة. فقد تناول في قصائده موضوعات الرثاء والشكوى من الزمن والتأمل في مصير الإنسان، مما منح شعره طابعًا إنسانيًّا عميقًا. وقد اتسم أسلوبه بالفصاحة والجزالة، مع قدرة واضحة على توظيف الصور البلاغية مثل الاستعارة والتشبيه لإبراز مشاعر الألم والأسى.

وبتحليل نماذج من شعره يتضح أن الحزن لم يكن مجرد حالة عابرة، بل كان عنصرًا أساسيًّا في تجربته الشعرية، إذ عبّر به عن رؤيته للحياة وما فيها من تقلبات ومعاناة. وقد أسهم هذا الجانب العاطفي في منح شعره قيمة أدبية كبيرة، وجعله قريبًا من وجدان المتلقي.

وفي الختام، يمكن القول إن الحزن والأسى شكّلا سمة بارزة في شعر الشريف الرضي، إذ استطاع بهما أن يقدّم تجربة شعرية صادقة تعبّر عن معاناة الإنسان وآلامه، مما جعل شعره يحتل مكانة مميزة في الأدب العربي.

الكلمات المفتاحية: الحزن، الاسى، الشريف الرضي، الصور الشعرية، الألفاظ الشعرية

This work is licensed under a Creative Commons Attribution License (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) that allows others to share and adapt the material for any purpose (even commercially), in any medium with an acknowledgement of the work's authorship and initial publication in this journal.

المقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد المرسلين، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه المنتجبين.. أما بعد:"

فيُعَدّ الشعر العربي مرآةً صادقةً لمشاعر الإنسان وتجربته الوجودية، وقد كان للحزن والأسى حضورٌ واضح في بنية القصيدة العربية منذ أقدم عصورها، إذ عبّر الشاعر العربي عن آلامه وأحزانه الفردية والجماعية في صور شعرية مؤثرة، شكّلت أحد أهم ملامح التجربة الشعرية. ولم يكن هذا الحزن مجرّد انفعال عابر، بل كان انعكاسًا لظروف نفسية واجتماعية وسياسية عايشها الشاعر، وأسهمت في تشكيل رؤيته للعالم والحياة.

ويُعدّ **الشريف الرضي** (359هـ–406هـ) من أبرز أعلام الشعر العربي في العصر العباسي، إذ جمع في شعره بين جزالة اللفظ وعمق المعنى، وتميّزت تجربته الشعرية بصدق العاطفة وقوة التعبير. وقد احتلّ الحزن والأسى مساحة واسعة في شعره، ولا سيما في قصائد الرثاء والشكوى، متأثرًا بما مرّ به من محن شخصية وأحداث مؤلمة، من مثل فقدان الأحبة، وتقلبات الزمن، وما شهده عصره من اضطرابات سياسية واجتماعية.

وقد تجلّت مظاهر الحزن في شعر الشريف الرضي بألفاظ دالّة، وصور بلاغية مؤثرة، وأساليب فنية متنوّعة، جعلت من تجربته الحزينة تجربة إنسانية صادقة، تتجاوز حدود الزمان والمكان. ومن هنا تبرز أهمية دراسة **الحزن والأسى عند الشريف الرضي**، لما لهذا الموضوع من قيمة أدبية ونفسية، تسهم في الكشف عن أعماق التجربة الشعرية لديه، وفهم البعد الإنساني في شعره.

وانطلاقًا من ذلك، يسعى هذا البحث إلى دراسة مظاهر الحزن والأسى في شعر الشريف الرضي، بتحليل الألفاظ والتراكيب والصور الشعرية التي عبّرت عن هذه المشاعر، مع الوقوف على الأسباب والدوافع التي أسهمت في تشكيل هذه الظاهرة. وقد اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، مستندًا إلى النصوص الشعرية للشريف الرضي، ومستفيدًا من آراء النقاد والدارسين، بهدف تقديم دراسة علمية تسهم في إغناء البحث الأدبي، وتسلّط الضوء على جانب مهم من جوانب شعر هذا الشاعر الكبير.

المبحث الأول

نبذة عن الشريف الرضي وسيرته

إنّ دراسة سيرة الشريف الرضي لا تكتمل عند حدود التعريف بشخصه ونسبه ومكانته العلمية، بل تستوجب الوقوف عند البعد النفسي والوجداني في حياته، بوصفه عاملًا أساسيًّا أسهم في تشكيل تجربته الشعرية، ولا سيما ما يتصل بألفاظ الحزن والأسى التي شكّلت ملمحًا بارزًا في شعره. فقد نشأ الشريف الرضي في بيئة تجمع بين العزّ الاجتماعي من جهة، والقلق السياسي والفكري من جهة أخرى، وهو تناقض ترك أثرًا واضحًا في تكوينه النفس .(ضيف، 1996: 217)

وقد مثّل انتماء الشريف الرضي إلى البيت العلوي مصدرًا للفخر والاعتزاز، لكنه في الوقت نفسه كان سببًا لمعاناة مستمرة نتيجة ما شهده عصره من صراعات سياسية وتوترات مذهبية، الأمر الذي جعله يعيش حالة من الإحساس بالحرمان والإقصاء، على الرغم من مكانته العلمية والاجتماعية المرموقة (عباس، 1998: 144). هذا الإحساس المتناقض بين العلوّ والانكسار انعكس في شعره في صورة ألفاظ حزينة، تعبّر عن ألم داخلي عميق لا يقتصر على التجربة الشخصية، بل يتجاوزها إلى الإحساس الجماعي بالمظلومية.

وأسهمت الظروف السياسية المضطربة في العصر العباسي، ولا سيما ضعف الخلافة وتسلّط القوى المتنازعة، في تعميق الشعور بالكآبة والأسى لدى الشريف الرضي، إذ كان شاهدًا على تدهور القيم التي آمن بها، وعلى اختلال ميزان العدل، وهو ما جعله يوظّف الحزن في شعره توظيفًا واعيًا، يتجاوز البكاء الفردي إلى التعبير عن أزمة أمة ومصير. (مندور، 2004: 92)

ومن الجوانب المهمة في سيرته أيضًا تجربته مع الفقد، فقد مرّ الشريف الرضي بمحن شخصية متعددة، تمثّلت في فقدان عدد من أحبّته وأقاربه، فضلًا عن الإحساس الدائم بقصر العمر وتقلب الأيام. وقد أسهمت هذه التجارب في ترسيخ نزعة تأملية حزينة في شعره، وظهرت بوضوح في اختياره للألفاظ ذات الحمولة العاطفية الثقيلة، مثل ألفاظ الدموع، والأنين، والأسى، والانكسار، والحرمان.(عتيق، 1987: 261)

ولا يمكن إغفال الأثر الديني في شخصية الشريف الرضي، إذ كان عالمًا فقيهًا إلى جانب كونه شاعرًا، وقد أضفى هذا البعد الديني على حزنه طابعًا خاصًّا، يتسم بالسمو والوقار، ويبتعد عن الجزع السطحي. فالحزن عنده غالبًا ما يتخذ بعدًا أخلاقيًّا وروحيًّا، ويُعبَّر عنه بألفاظ تتداخل فيها مشاعر الألم مع الرضا بالقضاء والتسليم لمشيئة الله، وهو ما يضفي على معجمه الشعري عمقًا دلاليًّا واضحًا. (الطيب، 1990: 409)

ومن هنا، يمكن القول إنّ الحزن في شعر الشريف الرضي ليس ظاهرة طارئة أو زخرفًا لغويًّا، بل هو نتيجة طبيعية لتجربة حياتية معقدة، تشابكت فيها العوامل الشخصية والسياسية والدينية. وقد انعكس هذا التعقيد في لغته الشعرية، التي جاءت مشحونة بالألفاظ الدالة على الأسى، سواء أكانت مباشرة أم موحية، مما يجعل دراسة سيرته ضرورة منهجية لفهم طبيعة هذه الألفاظ ودلالاتها النفسية والفني. (الطاهر، 1989: 73)

وعليه، فإنّ هذا المبحث يمهّد الطريق لدراسة ملامح الحزن في الشعر العربي قبل الشريف الرضي، بهدف إبراز مدى تأثره بالتراث الشعري السابق، وتميّز تجربته في توظيف ألفاظ الحزن والأسى توظيفًا خاصًّا يعكس شخصيته ورؤيته للحياة.

المبحث الثاني

تجليات الاسى الوجودي : تطور ملامح الحزن في الشعر العربي ما قبل الشريف الرضي

اولًا: الحزن الجاهلي (صدمة الفناء و قهر الطبيعة): يُعدّ الحزن من أقدم الموضوعات التي عرفها الشعر العربي، إذ ارتبط بالوجدان الإنساني منذ بداياته الأولى، وتجلّى في أشكال متعددة باختلاف العصور والظروف الاجتماعية والسياسية. وقد شكّل الشعر العربي قبل عصر الشريف الرضي أرضية فنية وثقافية مهمّة أسهمت في ترسيخ ملامح التعبير عن الحزن والأسى، سواء من خلال الألفاظ الصريحة أو الصور الرمزية، الأمر الذي ترك أثره الواضح في التجارب الشعرية اللاحقة.(ضيف، 1995: 41)

لم يكن الحزن في الشعر الجاهلي مجرد انفعال عابر، بل كان استجابة كينونية لبيئة صحراوية قاسية تقوم على الارتحال الدائم والمواجهة المستمرة مع الموت، تجسد هذا الحزن بنيويًا في "الوقوف على الأطلال"، الذي لم يكن بكاءً على الحجارة الدارسة، بل كان صدمة بصرية ومواجهة وجودية مع الزمن؛ حيث يرى الشاعر في خرائب الديار مآله الشخصي ومصير قَبيلته، لقد اتسم الشعر الجاهلي بالمباشرة والقوة (كالدموع، السكب، النوى، البِلى)، ليعكس عجز الإنسان، برز الحزن بوصفه استجابة طبيعية لظروف الحياة القاسية في الصحراء، وقد تجلّى هذا الحزن بوضوح في الوقوف على الأطلال، الذي يُعد من أبرز المظاهر الشعورية في القصيدة الجاهلية، إذ يقف الشاعر على ديار الأحبة باكيًا، مستحضرًا ذكريات الماضي، ومعبّرًا عن لوعة الفراق وألم الزمان.(عتيق، 1980: 118-120)

ثانيًا: الحزن الاسلامي (تطهير الذات و الاسى الروحي): ومع ظهور الإسلام، لم يختفِ الحزن من الشعر العربي، حدثت انعطافة جذرية في مفهومه بل اتخذ أبعادًا جديدة تتصل بالقيم الدينية والأخلاقية فقد تحوّل الحزن من مجرد بكاء على الأطلال أي الجزع الفردي إلى تأمل في مصير الإنسان، والزهد في الدنيا، والخوف من الآخرة و الاعتراض على القدر، وبرزت في هذا العصر ألفاظ تعبّر عن الأسى الروحي والانكسار النفسي، لكنها جاءت في إطار من الاتزان والسمو، بعيدًا عن الجزع المفرط فاصطبغ بالوقار والاتزان النفسي الملتزم بالقيم الدينية الجديدة (عباس، 1996: 203)

ثالثًا: الحزن الاموي (الانشطار السياسي و الوجداني): أما في العصر الأموي، فقد ارتبط الحزن ارتباطًا وثيقًا بالصراعات السياسية والقبلية، وبالانقسام الذي شهده المجتمع الإسلامي آنذاك. وقد انعكس ذلك في شعر النقائض، وفي شعر المعارضة السياسية،

حيث استخدم الشعراء ألفاظ الحزن والأسى للتعبير عن الظلم، وضياع الحقوق، والحنين إلى العدل المفقود. كما برز الحزن في شعر الغزل العذري، الذي مثّل نموذجًا خاصًّا للحزن القائم على الحرمان العاطفي، والفراق القسري، والوفاء المؤلم.(خليف، 1983: 267)

رابعًا:الحزن العباسي (التفلسف و القلق الوجودي، و اغتراب المدينة): وفي العصر العباسي، ازداد حضور الحزن في الشعر نتيجة تعقّد الحياة الاجتماعية، واتساع المدن، واشتداد الصراعات السياسية والفكرية.

وقد اتخذ الحزن في هذا العصر طابعًا أكثر عمقًا وتركيبًا، إذ لم يعد مقصورًا على الفقد الشخصي، بل شمل الإحساس بالغربة داخل المجتمع، والقلق الوجودي، والشعور بانهيار القيم. وظهرت ألفاظ جديدة تعبّر عن هذه المشاعر المركّبة، مثل الضيق، والهمّ، والقلق، والانكسار، واليأس، إلى جانب الألفاظ التقليدية الدالة على البكاء والأسى.(مندور، 2001: 156)

كما تأثر الشعر العباسي بالثقافات الوافدة، مما أسهم في تعميق البعد النفسي والفلسفي للحزن، وجعل الشاعر أكثر وعيًا بذاته وبمشاعره. وقد انعكس ذلك في بنية اللغة الشعرية، التي أصبحت أكثر إيحاءً ورمزية، وأقل مباشرة، وهو ما مهّد الطريق أمام شعراء مثل الشريف الرضي لتطوير معجم حزني خاص، يجمع بين أصالة التراث وخصوصية التجربة الذاتية.(مندور،2001: 156)

ومن خلال هذا العرض، يتبيّن أن الحزن في الشعر العربي قبل الشريف الرضي كان ظاهرة متجذّرة، تطوّرت بتطوّر العصور، وتنوّعت بتنوّع التجارب الإنسانية. وقد ورث الشريف الرضي هذا التراث الغني، لكنه لم يقف عند حدود التقليد، بل أعاد صياغته وفق رؤيته الخاصة، وهو ما سيظهر بوضوح عند دراسة مصادر الحزن في شعره، وتحليل الألفاظ الدالة على الأسى في تجربته الشعرية.

الشريف الرضي: صهر الإرث وتوليد "الحزن الهاشمي الشامخ": عندما ولج الشريف الرضي (ت 406 هـ) معترك الكتابة الشعرية، تلقّف هذا الإرث التاريخي الممتد من الجاهلية إلى العصر العباسي. إلا أن الرضي لم يقف عند حدود التقليد أو المحاكاة؛ بل عَمَدَ إلى صهر هذه المكونات داخل بوتقة تجربته الذاتية الاستثنائية المحكومة بـ:

- نَسَبِهِ الشريف وطموحه السياسي المُجهَض في نيل الخلافة أو الولاية.
- إحساسه المفرط بـ "العزة والأَنَفة" في زمن التراجع والتشرذم السياسي.

من هنا، تولّد في شعره ما يمكن تسميته بـ **"الحزن الهاشمي الشامخ"**؛ وهو حزن كونيّ يقطر رقةً وعاطفة، ولكنه محصّن بكبرياء شديد يمنعه من السقوط في الاستجداء أو الضعف المهين.(الرضي، 1426: 1/12-15)

الحنين الذاتي واغتراب الطموح (تجاوز الحزن العباسي): يتحول الحزن الوجودي عند الرضي إلى مرارة ناتجة عن عدم اتساع الدنيا لطموحه العالي، فهو يبكي لأن حظه في الحياة دون منزلة نفسه، فيقول في رائعيته الفلسفية (الرضي، 1462: 2/342)

مَشيناها خُطىً كُتِبَت عَلَينا وَمَن كُتِبَت عَلَيهِ خُطىً مَشاها

وَمَن كانَت مَنِيَّتُهُ بِأَرضٍ فَلَيسَ يَموتُ في أَرضٍ سِواها

وفي موضع آخر يتقاطع مع الحزن العباسي في الإحساس بعبثية الزمن وضياع العمر دون تحقيق المعالي:

أَرى العُمرَ يَمضي وَالمَعالي بَعيدَةٌ وَنَفسيَ تُلهيها المُنى وَالمَطامِعُ

أُقاوِمُ دَهرًا لا يَلِيـــــــــنُ لِـــــــــــعاتِبٍ وَأَطلُبُ حَظًّا لَيسَ بِالعَدلِ صانِعُ

الحزن الفجائعي والوجداني (رثاء الوالدة إنموذجًا): لقد تعمّق الأسى الروحي والإسلامي عند الرضي وتحول إلى صدمة فجائعية مطلقة عند وفاة والدته (فاطمة بنت الناصر)، هنا تحول الحزن إلى انكسار وجداني حاد، وعجز تام أمام الموت، مستعيرًا معجمًا مأساويًّا فخمًا (الرضي، 1426: 1/85)

أَبكيكِ لَو نَفَعَ الغَليلَ بُكائي ... وَأَقولُ لَو ذَهَبَ المَقالُ بِدائي

أَعَزُز عَلَيَّ بِأَن أَرى بِكَ مَركَبًا ... يَمشي بِهِ العَقَبُ العَجولُ السائي

لَو كانَ يَدري القَبرُ مَن هُوَ ضَمَّنُهُ لَثَرى لَهُ بِتَرائِبٍ وَصَفَاءِ

المبحث الثالث: مصادر الحزن في شعر الشريف الرضي

يمثّل الحزن في شعر الشريف الرضي محورًا وجدانيًّا أساسيًّا، تتقاطع فيه التجربة الذاتية مع الواقع العام، وتتداخل فيه الأبعاد النفسية والسياسية والدينية، مما يجعل هذا الحزن ظاهرة مركّبة ذات جذور متعددة. ولا يمكن فهم الألفاظ الدالة على الحزن والأسى في شعره فهمًا دقيقًا من دون الوقوف عند هذه المصادر، التي شكّلت الخلفية الفكرية والنفسية لتجربته الشعرية، وأسهمت في توجيه لغته وصوره ودلالاته.(ضيف، 1996: 226)

أولًا: المصدر الشخصي للحزن وأثره في التجربة الشعرية

يُعدّ المصدر الشخصي من أعمق مصادر الحزن في شعر الشريف الرضي، إذ ارتبط ارتباطًا وثيقًا بتجربته الحياتية وما مرّ به من محن وآلام إنسانية. فقد عرف الشريف الرضي معنى الفقد مبكرًا، وشهد تقلبات الزمن، وأدرك هشاشة الوجود الإنساني، الأمر الذي ترك أثرًا بالغًا في نفسيته، فانعكس في شعره بصورة واضحة. (عتيق،1987: 275)

وقد اتسم الحزن الشخصي عند الشريف الرضي بطابع داخلي هادئ، بعيد عن الصخب والانفعال، إذ عبّر عنه من خلال ألفاظ تميل إلى الرقة والشفافية، مثل: الدمع، واللوعة، والوجد، والأنين. وهذه الألفاظ لا تعبّر عن حدث معيّن بقدر ما تعبّر عن حالة شعورية مستمرة، تعكس إحساسًا دائمًا بالأسى والانكسار.(عباس، 1998: 154)

كما يتجلّى الحزن الشخصي في نزعة الشاعر إلى التأمل الذاتي، واستحضار معاني الفناء والزمن، حيث يظهر الشريف الرضي شاعرًا واعيًا بمرور العمر وسرعة انقضائه، وهو وعي يولّد شعورًا بالحزن العميق، يتخذ في كثير من الأحيان بعدًا فلسفيًّا يتجاوز التجربة الفردية إلى تأمل إنساني عام.(بدوي، 1983: 141)

ثانيًا: المصدر الاجتماعي والسياسي للحزن

لا ينفصل الحزن في شعر الشريف الرضي عن السياق الاجتماعي والسياسي الذي عاش فيه، إذ كان العصر العباسي في مرحلته المتأخرة عصرًا مضطربًا، شهد صراعات سياسية، وتراجعًا في هيبة الدولة، وتنازعًا على السلطة. وقد ترك هذا الواقع أثره في نفس الشريف الرضي، الذي كان ينتمي إلى بيت عريق، لكنه لم يجد انعكاس هذا الشرف في واقع سياسي منصف.(خليف، 1982: 319)

وقد تولّد عن هذا الواقع إحساسٌ بالظلم والخذلان، ظهر في شعره من خلال ألفاظ تعبّر عن القهر وضياع الحق والانكسار، وإن جاءت غالبًا في صيغة إيحائية أو رمزية، تجنبًا للتصريح المباشر. فالحزن السياسي عند الشريف الرضي حزن واعٍ، يتخذ من اللغة وسيلة للتعبير غير المباشر عن الاحتجاج والأسى.(الطاهر، 1998: 41)

كما يظهر هذا المصدر في إحساس الشاعر بالغربة داخل مجتمعه، رغم مكانته العلمية والاجتماعية، وهي غربة نفسية تولّد شعورًا عميقًا بالحزن، وتدفعه إلى توظيف ألفاظ توحي بالعزلة والانفصال والبعد، مما يضفي على شعره مسحة كئيبة متواصلة.(مندور، 2001: 162)

ثالثًا: المصدر الديني والروحي للحزن

يمثّل البعد الديني أحد أبرز منابع الحزن في شعر الشريف الرضي، إذ كان الشاعر فقيهًا وعالمًا بالدين، وقد انعكس هذا التكوين في رؤيته للوجود والحياة والموت. فالحزن الديني عنده لا ينبع من الجزع، بل من التأمل في المصير الإنساني، والشعور بثقل المسؤولية الأخلاقية، والخوف من الحساب.(الذهبي، 2000: 62)

وقد عبّر الشريف الرضي عن هذا النوع من الحزن بألفاظ تحمل دلالات إيمانية واضحة، تجمع بين الألم والرضا، والأسى والتسليم، فبدت لغته الشعرية مشبعة بروح الزهد والتقوى. ويتميّز هذا الحزن بأنه حزن هادئ، عميق، يبتعد عن الصراخ، ويتجه نحو المناجاة والدعاء.(الطيب، 1990: 421)

كما أسهم الحزن الديني في تهذيب التجربة الشعرية للشريف الرضي، فجعلها أكثر اتزانًا وسموًّا، وأكسب ألفاظه بعدًا أخلاقيًّا وروحيًّا، يميّزها عن غيرها من تجارب الحزن في الشعر العربي.(عباس، 1999: 209)

رابعًا: تداخل مصادر الحزن وأثره في الألفاظ الشعرية

لا تظهر مصادر الحزن في شعر الشريف الرضي منفصلة بعضها عن بعض، بل تتداخل وتتفاعل لتشكّل نسيجًا شعوريًّا واحدًا. فالحزن الشخصي يتقاطع مع الحزن السياسي، ويتعزز بالبعد الديني، مما يجعل الألفاظ الدالة على الأسى عنده غنية بالدلالات ومتعدّدة المستويات.(ضيف، 1995: 88)

وقد أسهم هذا التداخل في تنويع المعجم الشعري للشريف الرضي، فظهرت ألفاظ تجمع بين البعد النفسي والبعد الاجتماعي والبعد الروحي، وهو ما يفسّر كثافة حضور الحزن في شعره، وعمق تأثيره في المتلقي .(حمودة، 2001: 54).

خلاصة المبحث الثالث

يتضح مما سبق أن الحزن في شعر الشريف الرضي ليس حالة شعورية بسيطة، بل هو ظاهرة معقّدة ذات مصادر متعددة، شكّلت مجتمعة الأساس الوجداني لتجربته الشعرية. وقد انعكس هذا التعدد في تنوّع الألفاظ الدالة على الحزن والأسى، وهو ما يمهّد لدراسة هذه الألفاظ دراسة تحليلية دقيقة في الفصل الثاني.

الفصل الثاني

الألفاظ الدالة على الحزن والأسى في شعر الشريف الرضي

المبحث الأول

الألفاظ الصريحة الدالة على الحزن والأسى

تُعدّ الألفاظ الصريحة الدالة على الحزن والأسى من أبرز المكوّنات اللغوية في شعر الشريف الرضي، إذ تشكّل الأداة المباشرة التي يعبّر بها الشاعر عن تجربته الوجدانية دون مواربة أو تعقيد رمزي. وقد اكتسب هذا النوع من الألفاظ أهمية خاصة في شعره، لكونه شاعرًا يعتمد على صدق العاطفة وعمق الإحساس، أكثر من اعتماده على الإيحاء الغامض أو الرمز المجرّد. (ضيف، 1995: 104)

أولًا: الطبيعة الدلالية للألفاظ الصريحة في التعبير عن الحزن

تتميّز الألفاظ الصريحة بكونها تنقل الدلالة الشعورية نقلًا مباشرًا، فتضع المتلقي أمام الإحساس بالحزن دون وسيط لغوي معقّد. ومن هذا المنطلق، فإن ألفاظًا مثل :الحزن، الأسى، البكاء، الدمع، النحيب، الأنين تُعدّ وحدات لغوية مشحونة بطاقة انفعالية عالية، قادرة على إثارة التعاطف واستحضار الألم الإنساني بصورة فورية.(عتيق، 1985: 149)

وقد لجأ الشريف الرضي إلى هذا النوع من الألفاظ بوصفه أنسب وسيلة للتعبير عن معاناته النفسية، ولا سيما في المواقف التي يشتدّ فيها الشعور بالألم، كالرثاء، أو التأمل في الفقد، أو الإحساس بالحرمان. فالألفاظ الصريحة عنده لا تأتي عرضًا، بل تمثّل خيارًا فنيًّا واعيًا، يعكس رغبته في الصدق والتجرد من الزخرف اللفظي.(عباس، 1999: 214)

ثانيًا: ألفاظ البكاء والدمع وأبعادها الشعورية

يحتل البكاء موقعًا مركزيًّا في المعجم الحزني عند الشريف الرضي، إذ تتكرر ألفاظه بصيغ متعددة، مثل :بكيت، أبكي، البكاء، الدمع، الدموع .ولا يقتصر توظيف هذه الألفاظ على معناها الحسي المباشر، بل يتجاوز ذلك إلى التعبير عن حالة نفسية عميقة من الانكسار والعجز أمام قسوة الواقع. (الطيب، 1990: 435)

فالدمع في شعر الشريف الرضي لا يُعدّ مجرد استجابة انفعالية آنية، بل يتحول إلى لغة بديلة تعبّر عمّا تعجز الكلمات أحيانًا عن قوله. ومن خلال هذا التوظيف، يصبح البكاء علامة على صدق التجربة الشعرية، ودليلًا على عمق المعاناة التي يعيشها الشاعر، مما يضفي على النص الشعري مسحة إنسانية مؤثرة.(مندور، 2001: 171)

ومن استخدامه الصريح للفظ (الدمع) و(البكاء) في رثائه لأمه، حيث يتدفق الحزن لديه دون مواربة، فيقول:

أَبكيكِ لَو نَفَعَ الغَليلَ بُكائي ... وَأَقولُ لَو ذَهَبَ المَقالُ بِدائي

وَأَعوذُ بِالصَبرِ الجَميلِ تَعَزّيًا ... لَو كانَ بِالصَبرِ الجَميلِ عَزائي

ثالثًا: ألفاظ الحزن والأسى بوصفها حالات وجودية

إلى جانب ألفاظ البكاء، يكثر الشريف الرضي من استخدام ألفاظ تدلّ صراحة على الحزن والأسى بوصفهما حالتين نفسيّتين دائمتي الحضور، مثل :حزن، أسى، لوعة، كآبة .وتعبّر هذه الألفاظ عن شعور داخلي متجذّر، لا يرتبط بحدث معيّن بقدر ما يرتبط برؤية عامة للحياة.(خليف، 1984: 221)

ويكشف هذا الاستخدام عن وعي الشاعر بطبيعة الحزن بوصفه تجربة إنسانية شاملة، تتجاوز حدود اللحظة العابرة، لتصبح جزءًا من التكوين النفسي والفكري.(ضيف، 1996: 234)

يتجلى لفظ (الأسى) و(الحزن) كأدوات دلالية مباشرة تترجم حجم الفجيعة والفقد في شعره، كقوله في رثاء شيخه أبي إسحاق الصابي:

أَعَلِمتَ مَن حَمَلوا عَلى الأَعوادِ؟ ... أَرَأَيتَ كَيفَ خَبَت مَصابيحُ النادي؟

جَبَلٌ هَوى لَو خَرَّ في طولِ المَدى ... لَتَضَعضَعَت مِنهُ رُؤوسُ الأَطوادِ

ما كُنتُ أَعلَمُ قَبلَ دَفنِكَ في الثَرى ... أَنَّ المَعالِيَ تَستَوي في اللَحدِ(الرضي، 1426: 440/1)

رابعًا: ألفاظ النحيب والأنين ودلالتها على شدّة الألم

يمثّل النحيب والأنين مستوى أكثر حدّة في التعبير عن الحزن، إذ يشيران إلى بلوغ الألم مرحلة لا يمكن كتمانها أو السيطرة عليها. وقد لجأ الشريف الرضي إلى هذه الألفاظ في المواضع التي يشتدّ فيها الإحساس بالفقد أو الظلم، ولا سيما في قصائد الرثاء والتأمل في الموت. (عتيق، 1987: 283)

وتتميّز هذه الألفاظ بقدرتها على نقل شدّة المعاناة النفسية، لكنها في شعر الشريف الرضي تأتي ضمن إطار فني متوازن، لا ينزلق إلى المبالغة أو الابتذال. وهذا يدلّ على وعي الشاعر بأهمية التوازن بين التعبير الصادق والجمال الفني، وهو ما يُعدّ من سمات شعره البارزة. (الطاهر، 1989: 99)

يبرز لفظ (الحسرة) و(الوجد) عندما يتأمل الشريف الرضي في تصاريف الزمان وفقد الأحبة، معبرًا بطاقة انفعالية عالية:

واحَسرَتا لِمَضائِهِ وَتَلَهُفي ... لِفِراقِهِ وَتَقَطُّعي لِذَهابِهِ

قَد كُنتُ آمِلُ أَن يَكونَ بَقاؤُهُ ... ذُخرًا فَصارَ حِمامُهُ مِن آربِهِ

المبحث الثاني

الألفاظ الرمزية الدالة على الحزن والأسى

يمثّل الرمز أحد أهم الأساليب الفنية التي اعتمدها الشريف الرضي في التعبير عن الحزن والأسى، إذ لم يكتفِ في تجربته الشعرية بالألفاظ الصريحة المباشرة، بل لجأ إلى توظيف ألفاظ تحمل معاني إيحائية تتجاوز دلالتها الظاهرة، لتعبّر عن حالات نفسية معقّدة وعميقة. ويكشف هذا الاتجاه عن وعي فني متقدّم، ورغبة في الارتقاء بالتجربة الشعورية من مستوى التصريح إلى مستوى الإيحاء، بما يمنح النص الشعري ثراءً دلاليًّا وجماليًّا(ضيف، 1995: 120)

أولًا: الرمز بوصفه أداة للتعبير عن الحزن العميق

يُعدّ الرمز من أكثر الوسائل التعبيرية قدرة على احتواء التجارب الشعورية العميقة والمعقّدة، ولا سيما تجربة الحزن التي تتجاوز في كثير من الأحيان حدود التعبير المباشر. فحين يعجز اللفظ الصريح عن الإحاطة بأبعاد الألم النفسي، يلجأ الشاعر إلى الرمز بوصفه أداة فنية تمكّنه من التعبير غير المباشر عن مشاعره، مع الحفاظ على العمق الجمالي والصدق الوجداني في آنٍ واحد. (ضيف، 1995: 123)

وقد أدرك الشريف الرضي هذه الوظيفة التعبيرية للرمز، فوظّفه في شعره وسيلةً أساسية للتعبير عن حزنه العميق، الذي لم يكن حزنًا طارئًا أو انفعالًا عابرًا، بل حالة شعورية متجذّرة في ذاته، ناتجة عن تداخل عوامل شخصية وسياسية ودينية. ومن هنا، لم يكن الرمز عنده ترفًا فنيًّا، بل ضرورة تعبيرية فرضتها طبيعة التجربة نفسها. (عباس، 1998: 178)

ويتميّز الرمز في شعر الشريف الرضي بكونه نابعًا من ألفاظ مألوفة في الاستعمال اللغوي، لكنه يُفرغها من معناها الظاهري المحدود، ويعيد شحنها بدلالات نفسية عميقة. فالكلمة الرمزية لا تُقرأ عنده بمعناها القاموسي، بل ضمن سياق شعوري خاص، يجعلها حاملة لمعانٍ متراكبة تعبّر عن الألم، والانكسار، والقلق، والشعور بالفقد.(عتيق، 1985: 170)

ومن الناحية النفسية، يمثّل الرمز وسيلة غير مباشرة لتفريغ الشحنة الانفعالية الكامنة في الذات الشاعرة. فبدلًا من التصريح بالألم، يتم إسقاطه على عناصر خارجية، كالزمن أو المكان أو الطبيعة، مما يمنح الشاعر قدرًا من التوازن النفسي، ويحوّل المعاناة إلى تجربة جمالية قابلة للتأمل. وهذا ما يفسّر كثافة حضور الرمز في شعر الشريف الرضي مقارنة بالألفاظ الصريحة في المواضع التي يشتدّ فيها الحزن.

ويكشف هذا الأسلوب الرمزي عن شخصية شعرية واعية، تميل إلى التأمل الداخلي، وتفضّل التعبير الموحِي على الخطاب المباشر. فالحزن عند الشريف الرضي ليس صراخًا أو شكوى فجّة، بل إحساس داخلي هادئ، يتسلّل إلى اللغة عبر الرمز، ويظهر في صور موحية تترك أثرًا عميقًا في نفس المتلقي.(الطاهر، 1989: 121)

كما يمنح الرمز النصّ الشعري قابلية عالية للتأويل، إذ لا يفرض دلالة واحدة مغلقة، بل يفتح المجال أمام القارئ لاكتشاف المعنى وفق تجربته ووعيه. وبهذا، يتحوّل الحزن من تجربة فردية تخصّ الشاعر وحده، إلى تجربة إنسانية عامة، يمكن للمتلقي أن يجد فيها صدى لمشاعره الخاصة.(عباس، 1999: 223)

ومن هنا، يمكن القول إن الرمز في شعر الشريف الرضي لم يكن مجرد وسيلة بلاغية، بل كان أداة جوهرية للتعبير عن الحزن العميق، وعن رؤية شعرية ترى أن الألم الحقيقي لا يُقال مباشرة، بل يُلمَّح إليه، ويُحاط بهالة من الإيحاء، حفاظًا على عمقه وصدقه الفني.

ثانيًا: الرموز الزمنية ودورها في تكثيف الإحساس بالحزن

يمثّل الزمن أحد أهم الحقول الدلالية التي استثمرها الشريف الرضي في التعبير عن الحزن والأسى، إذ لم يتعامل معه بوصفه إطارًا محايدًا تجري داخله الأحداث، بل بوصفه عنصرًا شعوريًّا فاعلًا يسهم في تعميق الإحساس بالألم، وتكثيف التجربة الحزنية. وقد تحوّلت مفردات الزمن في شعره من دلالاتها الطبيعية المباشرة إلى رموز إيحائية تعبّر عن القلق، والوحدة، والانكسار، واستمرار المعاناة النفسية.(ضيف، 1995: 126)

1. الليل بوصفه رمزًا للحزن الوجودي

يُعدّ الليل من أكثر الرموز الزمنية حضورًا في شعر الشريف الرضي، وهو رمز يتجاوز معناه الزمني المحدود ليعبّر عن حالة نفسية مركّبة. فالليل عنده ليس مجرد وقت يغيب فيه الضوء، بل زمن تتكثّف فيه الأحزان، وتشتدّ فيه وطأة الهموم، ويجد الشاعر نفسه وحيدًا في مواجهة آلامه وذكرياته، وقد ارتبط الليل في الوعي الشعري العربي بالحزن منذ القديم، غير أن الشريف الرضي أعاد توظيفه توظيفًا ذاتيًّا خاصًّا، فجعل منه مرآة لحزنه الداخلي، ومجالًا لبثّ شكواه الصامتة. فالليل في شعره زمن ثقيل، طويل، بطيء الانقضاء، وهو ما يعكس الإحساس النفسي بطول المعاناة واستمرارها.(عباس، 1998: 181)

من أبرز الشواهد على هذا التوظيف، قوله مستبطنًا طول ليله وثقل همومه التي تنقضّ عليه بمجرد ظلام الكون (الرضي، 1426: 484/1)

كَأَنَّ السَماءَ استَبدَلَت بِنُجومِها ... صُخورًا مِثالاتٍ فَلَيسَت تَسيرُ

وَلَيلٍ أَقَمتُ العَينَ في حَجَراتِهِ ... نَزيعًا لَها نَومٌ وَهُنَّ نُفورُ

أُطالِعُ أَعلامَ السَماءِ كَأَنَّني ... غَريبٌ بِأَطرافِ البِلادِ ضَريرُ

وفي موضع آخر، يربط الرضي بين ظلام الليل وظلمات النفس والقلب المكلوم، فيغدو الليل عدوًّا يطيل أمد العذاب ويسلب الشاعر أمل الخلاص:

يَبيدُ اللَيلُ وَالهَمُّ اِتِّصالٌ ... وَيَفنى الدَهرُ وَالوَجدُ اِبتِداءُ

سَوادٌ في الدُجى وَسَوادُ قَلبٍ ... فَأَينَ لِمُهجَتي المِسكينَةِ الضِياءُ؟

ويلاحظ أن حضور الليل في سياق الحزن غالبًا ما يقترن بألفاظ توحي بالسكون القاتم، والانطواء، والانفصال عن العالم، مما يحوّل الزمن إلى حالة شعورية خانقة، لا إلى لحظة للراحة أو السكينة.

2. السهاد والأرق: الزمن المضطرب

يرتبط الليل في شعر الشريف الرضي ارتباطًا وثيقًا بـ **السهاد**، الذي يُعدّ من أقوى الرموز الدالة على القلق النفسي العميق. فالأرق عنده ليس حالة جسدية عابرة، بل نتيجة مباشرة لهيمنة الحزن على الوعي، وسيطرته على الفكر والوجدان.

ويمثّل السهاد زمنًا مختلًّا، يفقد فيه الشاعر القدرة على الاستسلام للراحة، ويظلّ أسيرًا لأفكاره وأحزانه. ومن هنا، يتحوّل الزمن من عنصر طبيعي في الحياة إلى عبء نفسي ثقيل، يُسهم في تعميق الإحساس بالألم، ويجعل المعاناة مستمرة حتى في أوقات السكون (مندور، 2001: 194).

كما يدلّ السهاد على عدم قدرة الشاعر على النسيان، فالحزن يطارده في ليله كما في نهاره من أبرز الشواهد التي تصوّر هذا الأرق الطويل وامتداد الليل بفعل السهاد، قوله في مطلع إحدى قصائده، حيث يغدو النوم عصيًّا والليل دهرًا لا يزول:

يَطولُ النَجمُ أَم يَطولُ السُهادُ؟ ... أَم عَمِيَ الصُبحُ فَلَيسَ يُرتادُ؟

لَيلٌ كَأَنَّ الظَلامَ جَلَّلَهُ ... حَزنٌ طَويلُ الذُيولِ مَيادُ

وفي موضع آخر، يربط بين الأرق واللوعة التي تمنع الطمأنينة عن قلبه وعينه، محولًا السهاد إلى رفيق دائم يمزق هدوء الليل (الرضي، 1426:1/459):

أَرَقٌ عَلى أَرَقٍ وَمِثلِيَ يَأرَقُ ... وَجَوىً يَزيدُ وَعَبرَةٌ تَتَرَقرَقُ

جَهِدَ الصُبابةُ أَن تَكونَ كَما أَرى ... عَينٌ مُسَهَّدَةٌ وَقَلبٌ يَخفِقُ

3. تعاقب الزمن واستمرارية الحزن

من السمات البارزة في شعر الشريف الرضي ربط الحزن بتعاقب الزمن، إذ لا يظهر الأسى عنده مرتبطًا بلحظة محدّدة، بل ممتدًّا عبر الأيام والليالي. وهذا الربط يمنح الحزن بعدًا استمراريًّا، ويحوّله من حالة عاطفية مؤقتة إلى جزء من رؤية الشاعر للحياة.

ويُسهم هذا الامتداد الزمني في تعميق الأثر النفسي للحزن، إذ يشعر المتلقي بأن الألم ليس طارئًا أو عابرًا، بل متجذّر في الوجود، يتجدّد مع كل ليل، ويتراكم مع كل يوم. (خليف، 1984: 241)

قوله في إحدى قصائده معبرًا عن عجز الأيام عن محو لوعته:

يَمُرُّ لِيَ الزَمانُ وَلَسْتُ أَسْلُو ... وَتَعْقُبُنِي الأَيَّامُ وَمَا أُفِيقُ

إِذَا انْقَضَتِ اللَّيَالِي عُدْنَ سُودًا ... كَأَنَّ عَذَابَ قَلْبِي لَا يَبِيدُ

كذلك يتجلى هذا البعد الاستمراري للحزن في رثائه، حيث يفقد الزمن قدرته على المواساة، ويتحول إلى عداد للألم المتراكم، كقوله متفجعًا على تتابع الأيام بعد الفقد:

طَوَتني الأَيّامُ طَيَّ السِجِلِّ ... وَجَرَّتْ عَلَيَّ اللَيالي ذُيُولا

فَما يَنقَضي حُزنُ هَذا الفُؤادِ ... وَلا يَبتَغي عَن أَقَلِّ البَلاءِ بَديلا (الرضي، 1426: 182/1)

4. القيمة الفنية للرمز الزمني في شعر الشريف الرضي

تكمن القيمة الفنية للرموز الزمنية في شعر الشريف الرضي في قدرتها على تكثيف الشعور بالحزن دون مباشرة، إذ يتحوّل الزمن إلى لغة بديلة تعبّر عن الألم بصمت وإيحاء. كما تتيح هذه الرموز للشاعر التعبير عن معاناته بصورة غير تقريرية، تحافظ على الجمال الفني للنص، وتمنحه عمقًا دلاليًّا واضحًا. (الطاهر، 1989: 124)

ومن هنا، فإن الرمز الزمني لا يُعدّ عنصرًا ثانويًّا في بناء التجربة الحزنية عند الشريف الرضي، بل ركيزة أساسية تسهم في تشكيل نبرة الحزن العامة، وتكشف عن وعي الشاعر بقيمة الزمن بوصفه عنصرًا نفسيًّا وفنيًّا فاعلًا.

ثالثًا: الرموز المكانية وتجسيد الإحساس بالغربة

تحتلّ الرموز المكانية مكانة بارزة في التعبير عن الحزن عند الشريف الرضي، ولا سيما مفردات مثل الغربة والنوى والبعد .فالغربة في شعره ليست بالضرورة انتقالًا مكانيًّا، بل هي حالة نفسية يشعر فيها الشاعر بالانفصال عن محيطه، وعدم الانسجام مع الواقع الذي يعيشه.(عتيق، 1987: 292) ومن أبرز الشواهد التي يربط فيها الشريف الرضي بين البعد المكاني وغربة الروح والوجدان، قوله وهو يتجرع مرارة الاغتراب عن مواطن الأحبة وسكونه في فضاء موحش:

غَريبٌ في بِلادٍ لَيسَ فيها ... لِقَلبي مِن جَوانِحِها نَصيرُ

أُقَلِّبُ في أَقاصيها لِحاظي ... كَأَنّي بَينَ أَهْلِيها ضَريرُ

وتأتي النوى رمزًا مكثفًا للفراق والحرمان، إذ تعبّر عن ألم البعد واستحالة اللقاء، سواء أكان ذلك بعدًا عن الأحبة أم عن القيم والمثل التي يؤمن بها الشاعر. ومن خلال هذا الرمز، يتحوّل المكان إلى مساحة شعورية تعبّر عن الحزن الداخلي، لا عن جغرافيا محدّدة. (الطيب، 1990: 458)، تبرز النوى كقوة قاهرة تمزق حبال الوصل وتورث القلب حسرة ممتدة، كقوله:

قَذَفَت بِنا أيدي النَوى قَذَفاتِها ... فَخَلَت تَباعُدَنا الرِكابُ طَويلا

لَو كانَ غَيرَ البَينِ غَيَّرَ شيمَتي ... لَوَجَدتَ حَبْلَ مَوَدَّتي مَوصُولا (الرضي، 1426، 14/2)

رابعًا: رموز الطبيعة بوصفها مرآة للحزن الداخلي

استثمر الشريف الرضي عناصر الطبيعة توظيفًا رمزيًّا دقيقًا، فجعلها مرآة تعكس حالته النفسية. فالظلام، والسكون، والذبول، والرياح، مفردات لا تُستحضر في شعره لمجرد الوصف، بل لتجسيد الألم الداخلي وإسقاطه على العالم الخارجي. وكأن الطبيعة تشارك الشاعر حزنه، وتتفاعل مع مشاعره، فتغدو جزءًا من التجربة الوجدانية نفسها.(مندور، 2004: 118)، من أبرز الشواهد على هذا الإسقاط النفسي، توظيفه لحركة الرياح وهبوبها لتعكس اضطراب جوانحه وتأجج أشواقه وحزنه، حيث يقول:

إِذا هَبَّتِ الريحُ الشَآمِيَةُ اِلتَقَت ... عَلى كَبِدي مِنها جَوانِحُ تُرجَفُ

أُقَضّي زَمانًا لَيسَ يُعرَفُ صَرفُهُ ... وَأَحْمِلُ قَلبًا لَيسَ يَبلى فَيُصْرَفُ

تنسجم الرموز الطبيعية مع السياق الشعوري للنص، وتمنحه بعدًا تصويريًّا يعمّق أثر الحزن في نفس المتلقي، دون الحاجة إلى التصريح المباشر ومن ذلك استدعاؤه لظاهرة البرق في جنح الليل، فبدلًا من أن يكون رمزًا للمطر والأمل، يراه الشاعر سوطًا يلهب جراحه، ويشاركه الوميض والاضطراب:

يَلوحُ بِمُنحَنى العَلَمَينِ بَرقٌ ... كَما نَفَضَ الجَناحَ طَمِيرُ شَوْقِ

أَرِقْتُ لَهُ وَقَد صَخِبَتْ رُعودٌ ... كَأَنَّ بِها مِثْلَ الذي بِي مِن وَجْدِ

(الرضي، 1426: 442/1)

ويتميّز هذا التوظيف بكونه غير مفتعل، إذ تنسجم الرموز الطبيعية مع السياق الشعوري للنص، وتمنحه بعدًا تصويريًّا يعمّق أثر الحزن في نفس المتلقي، دون الحاجة إلى التصريح المباشر.

خامسًا: الوظيفة الفنية والدلالية للألفاظ الرمزية

تكمن أهمية الألفاظ الرمزية في شعر الشريف الرضي في قدرتها على الجمع بين العمق الدلالي والجمال الفني. فهي من جهة تكثّف المعنى، وتختزل تجربة شعورية معقّدة في لفظ واحد، ومن جهة أخرى تمنح النص الشعري اتساعًا تأويليًّا، يسمح بتعدّد القراءات واختلاف مستويات التلقي (الطاهر، 1989: 130)

كما تسهم هذه الألفاظ في تحقيق التوازن الفني في شعر الشريف الرضي، إذ تخفّف من حدّة المباشرة، وتكمل دور الألفاظ الصريحة، مما يجعل التجربة الحزنية متكاملة من حيث التعبير والتأثير.

ومن أبرز الشواهد التي تبرز هذا التكثيف الرمزي، استخدامه للفظ(الحسام / السيف) ليس في سياق الفخر الحربي المعتاد، بل كرمز للذات المكلومة المجرعة بالأسى والتجارب القاسية التي صقلتها الأيام ومزقها الوجد، حيث يقول:

وَقَد يَصدَأُ السَيفُ الصَقيلُ ذُبابُهُ ... وَيَعتادُ قَلبَ الأَريَحِيِّ جُمودُ

نَظَرتُ وَأَطرافُ الرِماحِ دَوانِيٌ ... إِلَيَّ وَأَعناقُ النُسورِ تُقودُ

كما تسهم هذه الألفاظ في تحقيق التوازن الفني في شعر الشريف الرضي، إذ تخفّف من حدّة المباشرة، وتكمل دور الألفاظ الصريحة، مما يجعل التجربة الحزنية متكاملة من حيث التعبير والتأثير. ومن ذلك استخدامه المبدع لرمز (الحمام / الطير الساجع) كقناع فني يبث من خلاله لوعته وشكواه، محولًا نوح الطير إلى مرآة لنوحه الداخلي دون الحاجة إلى التقريرية المباشرة:

أَتَبكي حَمامُ الأَيكِ مِن غَيرِ لَوعَةٍ ... وَأَخلُو مِنَ الشَجوِ الأَليمِ وَأَسهَرُ؟

لَقَد جُرتِ يا وُرقَ الحَمامِ بِأَدمُعٍ ... يَفيضُ بِها قَلبي المَشُوقُ وتَزفُرُ (الرضي، 1426: 1/ 412)

و في سياق آخر، يتجلى رمز (انطفاء المصابيح او افول النجوم) ليعبر به رمزيًّا عن فقد العلماء المصلحين، وغياب القيم والمثل برحيلهم، وهو توظيف يفتح النص على آفاق تأويلية واسعة تجمع بين الفاجعة الشخصية والأسى العام:

أَرى نُجومًا بَدَت في الأُفقِ آفِلَةً ... وَالشَمسُ جَلَّلَها مِن دُونِنا الطَفَلُ

لِلَّهِ دَرُّ المَعالي كَيفَ غَيَّضَها ... مَوتُ الَّذي كانَ مِنهُ الغَيثُ يَنهَمِلُ

(الرضي، 1426: 144/2)

خلاصة المبحث

يتضح من خلال هذا التحليل أن الألفاظ الرمزية شكّلت عنصرًا أساسيًّا في بناء التجربة الحزينة عند الشريف الرضي، وأسهمت في تعميق دلالات الحزن والأسى في شعره. وقد استطاع الشاعر من خلال الرمز أن يعبّر عن آلامه بوعي فني رفيع، يجعل من لغته الشعرية أداة قادرة على احتواء التجربة الإنسانية في أبعادها النفسية والوجودية، وهو ما يمهّد للانتقال إلى دراسة الألفاظ المركبة ذات الدلالة الشعورية في المبحث التالي.

المبحث الثالث

الألفاظ المركبة ذات الدلالة الشعورية

تُعدّ الألفاظ المركبة ذات الدلالة الشعورية من أكثر المستويات اللغوية عمقًا في التعبير عن الحزن والأسى في شعر الشريف الرضي، إذ لا تقتصر هذه الألفاظ على معنى واحد مباشر، بل تتكوّن من تراكم دلالي ناتج عن تفاعل اللفظ مع السياق النفسي والفني للنص. ومن هنا، فإن هذه الألفاظ تعبّر عن حالات شعورية معقّدة، يتداخل فيها الألم النفسي مع التجربة الحياتية، مما يجعلها أداة فنية فعّالة في نقل الحزن العميق

أولًا: مفهوم الألفاظ المركبة وخصائصها الدلالية

تُعدّ الألفاظ المركبة ذات الدلالة الشعورية من أهم الوسائل التعبيرية في اللغة الشعرية، إذ تتجاوز حدود الدلالة المعجمية البسيطة لتُنشئ معنى مركّبًا ناتجًا عن تفاعل اللفظ مع السياق النفسي والفني للنص. فهذه الألفاظ لا تؤدي معناها عبر مفردة واحدة مستقلة، بل عبر شبكة من الإيحاءات والعلاقات الدلالية التي تتشكّل داخل البنية الشعرية، وهو ما يمنحها قدرة عالية على التعبير عن الحالات الوجدانية المعقّدة، وفي مقدّمتها الحزن والأسى.(ضيف، 1995: 140)

ويقصد بالألفاظ المركبة تلك المفردات أو التراكيب التي تتضمّن أكثر من بُعد دلالي في آنٍ واحد، بحيث تعبّر عن إحساس مركّب لا يمكن اختزاله في معنى واحد مباشر. فهي تجمع بين معانٍ نفسية واجتماعية وزمنية، وتستمدّ قيمتها التعبيرية من السياق الذي ترد فيه، لا من معناها القاموسي المجرد. ومن هنا، فإن ألفاظًا مثل **الخذلان** و**الانكسار** و**الوجد** لا تدلّ على الحزن فحسب، بل تحمل في طيّاتها دلالات الإحباط، وفقدان السند، والاحتراق الداخلي، والقلق الوجودي.(عتيق، 1985: 184)

وتتميّز الألفاظ المركبة بكونها أكثر قدرة على تمثيل التجربة الشعورية العميقة، لأن الحزن في كثير من الأحيان لا يكون إحساسًا واحدًا صافيًا، بل حالة نفسية مركّبة تتداخل فيها مشاعر متعدّدة. وقد أدرك الشريف الرضي هذا التعقيد، فاختار ألفاظًا تتّسع دلالاتها لاحتواء هذا التداخل، وتمنح النصّ الشعري طاقة إيحائية قادرة على نقل التجربة بصدق وعمق.(عباس، 1998: 193)

ومن الخصائص الدلالية البارزة للألفاظ المركبة أنّها **سياقية** بطبيعتها، أي إن معناها لا يُستكمل إلا داخل السياق الشعري. فاللفظ المركّب قد يحمل دلالة عامة في الاستعمال اللغوي، غير أنّه يكتسب في شعر الشريف الرضي بعدًا شعوريًّا خاصًّا، نتيجة ارتباطه بالحالة النفسية للشاعر وبالنسق العام للنص. وبذلك، يصبح اللفظ الواحد حاملًا لمعانٍ متعدّدة، تتغيّر بتغيّر السياق، وتزداد عمقًا بتكثيف التجربة الشعورية[4].

كما تتّسم الألفاظ المركبة بقدرتها على **الاختزال الدلالي**، إذ تعبّر عن تجربة شعورية طويلة ومعقّدة في لفظ واحد أو تركيب قصير. وهذا الاختزال يمنح اللغة الشعرية كثافة معنوية عالية، ويجعل الحزن حاضرًا بقوة دون إسهاب أو تقرير. ومن هنا، فإن هذه الألفاظ تؤدي وظيفة فنية مزدوجة: فهي من جهة تنقل الإحساس بالحزن، ومن جهة أخرى تحافظ على جمال النصّ وتماسكه الفني.(الطيب، 1990: 470)

ومن هنا، يمكن القول إنّ الألفاظ المركبة في شعر الشريف الرضي تمثّل مستوى متقدّمًا من التعبير اللغوي، يعكس نضج الشاعر الفني ووعيه بطبيعة التجربة الشعورية التي ينقلها. فهي ليست ألفاظًا عابرة أو زخرفًا لغويًّا، بل أدوات دلالية أساسية أسهمت في بناء معجمه الحزني، ومهّدت لتحليل أعمق للألفاظ الدالة على الأسى والانكسار في شعره.

ثانيًا: ألفاظ الخذلان والانكسار ودلالتها النفسية

يحتلّ **الخذلان** مكانة بارزة ضمن الألفاظ المركبة في شعر الشريف الرضي، إذ يدلّ على الإحساس بالخيبة وفقدان السند، سواء أكان ذلك على المستوى الشخصي أم الاجتماعي أم السياسي. فالخذلان لا يعني مجرد الحزن، بل يعبّر عن شعور مركّب يجمع بين الألم، وفقدان الثقة، والانكسار الداخلي.

ويتجلّى هذا اللفظ في سياقات تعبّر عن توقّعات لم تتحقّق، أو آمال انهارت، وهو ما يعكس طبيعة التجربة الحياتية للشاعر، الذي عاش في زمن كثرت فيه التقلبات السياسية والاجتماعية[3]. ويمنح هذا اللفظ النصّ الشعري بعدًا نفسيًّا عميقًا، إذ يشعر المتلقي بأن الحزن هنا ناتج عن صدمة داخلية لا عن سبب عابر.

أما **الانكسار**، فهو لفظ مركّب يحمل دلالة نفسية قوية، إذ يشير إلى تحطّم داخلي يصيب الذات، ويترك فيها أثرًا دائمًا. والانكسار في شعر الشريف الرضي لا يكون جسديًّا، بل نفسيًّا ومعنويًّا، وهو ما يجعل هذا اللفظ أداة فعّالة للتعبير عن الألم الصامت، الذي لا يُقال مباشرة، بل يُستشعر من طريق السياق الشعوري.(عتيق، 1985: 182)

ثالثًا: الوجد واللوعة بوصفهما تعبيرًا عن الألم الداخلي

يُعدّ **الوجد** من الألفاظ المركبة التي تجمع بين الحب والألم، والحنين والأسى، وهو من أكثر الألفاظ قدرة على التعبير عن الحزن العاطفي العميق. فالوجد في شعر الشريف الرضي لا يدلّ على مشاعر سطحية، بل على حالة نفسية متراكبة، يعيش فيها الشاعر صراعًا داخليًّا بين التعلّق والفقد.

أما **اللوعة**، فهي لفظ يحمل دلالة الاحتراق الداخلي، وتعبّر عن شدّة الألم الناتج عن الفراق أو الحرمان. وتكمن قوة هذا اللفظ في كونه ينقل الإحساس بالحزن بوصفه ألمًا مستمرًّا، لا يهدأ بسهولة، وهو ما ينسجم مع طبيعة التجربة الشعورية للشريف الرضي.(الطاهر، 1989: 134)

رابعًا: التراكيب الشعورية ودورها في تعميق الدلالة

لا يقتصر التعبير المركّب عند الشريف الرضي على المفردة وحدها، بل يمتدّ إلى التراكيب اللغوية التي تتكوّن من أكثر من لفظ، فتُنتج معنى شعوريًّا واحدًا متكاملًا. ومن خلال هذه التراكيب، يتمكّن الشاعر من تصوير الحزن بوصفه حالة مركّبة تشمل النفس والزمن والواقع معًا.

وتسهم هذه التراكيب في بناء صورة شعرية متماسكة، تجعل الحزن ملموسًا وقريبًا من تجربة المتلقي، دون الوقوع في المباشرة أو التقرير. وهذا ما يمنح شعر الشريف الرضي عمقًا فنيًّا ودلاليًّا واضحًا.(عباس، 1999: 237)

خامسًا: القيمة الفنية للألفاظ المركبة في التجربة الحزنية

تكمن القيمة الفنية للألفاظ المركبة في قدرتها على الجمع بين الصدق العاطفي والثراء الدلالي، إذ تتيح للشاعر التعبير عن حزنه بأدوات لغوية مرنة، قادرة على استيعاب التعقيد النفسي للتجربة. كما تمنح هذه الألفاظ النصّ الشعري طاقة إيحائية عالية، تجعل الحزن تجربة محسوسة، لا مجرّد معنى ذهني[7].

ومن هنا، فإن الألفاظ المركبة تشكّل حلقة وصل بين الألفاظ الصريحة والرمزية، وتُسهم في بناء معجم حزني متكامل في شعر الشريف الرضي، يعكس نضجه الفني ووعيه اللغوي.

الخاتمة:

بعد هذه الدراسة التي تناولت مظاهر الحزن والأسى في شعر الشريف الرضي، تبيّن أن الحزن لم يكن عنصرًا عارضًا في تجربته الشعرية، بل شكّل محورًا أساسًا من محاور إبداعه، وملمحًا بارزًا من ملامح شخصيته الفنية والإنسانية. فقد عبّر الشريف الرضي عن أحزانه بصدقٍ عاطفي عميق، عكس ما مرّ به من محن شخصية، وفقدان للأحبة، وتقلبات في ظروف الحياة، فضلًا عن تأثير الواقع الاجتماعي والسياسي لعصره.

و تأسيسًا على ما تقدّمت به فصول هذه الدراسة ومحاورها في تتبّع "مظاهر الحزن والأسى في شعر الشريف الرضي"، يؤول البحث إلى جملة من النتائج والمقاربات العلمية التي تُجمل كينونة هذه التجربة وسياقاتها الفنية والوجودية، ومن أهمها:

- **أولًا :**إن الحزن في المدونة الشعرية للشريف الرضي لم يكن مجرد غرضٍ تقليدي يُستدعى تلبيةً لمقتضيات المناسبة، بل شكّل بنيةً وجودية مهيمنة ومحورًا رؤيويًا تضافرت في تشكيله وطأة المحن الذاتية، وفجائع الفقد، مع انكسارات الواقع السياسي والاجتماعي لعصره؛ مما صهر التجربة في بوتقة من الصدق الشعوري والتجرّد من الزخرف المصنوع.
- **ثانيًا :**أثبتت الدراسة كفاءة الأداء الأسلوبي عند الشاعر في الموازنة الإبداعية بين الألفاظ الصريحة ذات المباشرة الانفعالية النفاذة، وبين الرموز والآليات التعبيرية (كالليل، والسهاد، ومرايا الطبيعة، والرموز المكانية، الأمر الذي سمح بتحويل الحزن الفردي المحدود إلى حزن كوني ممتد، يتجاوز الزمن الجغرافي إلى "الزمن النفسي المضطرب"، ويمنح النصوص طاقة تأويلية متجددة القراءات.

- **ثالثًا :** انزاح الحزن عند الرضي من أُطره الضيقة كـ "شكوى ذاتية مؤقتة" ليغدو فلسفةً موقفية في مواجهة حتمية الفقد وتصاريف الزمان، ممثلًا بذلك نموذجًا ناضجًا للشعر الوجداني العباسي الذي يدمج بين عمق الإحساس الإنساني العام وفخامة الديباجة البلاغية.

المصادر

1.إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي، بيروت: دار الثقافة، 1999.

2.إحسان عباس، تاريخ الأدب العربي: العصر الإسلامي، بيروت: دار الثقافة، 1996.

3.إحسان عباس، دراسات في الأدب العباسي، بيروت: دار الثقافة، 1998.

4.الشريف الرضي، ديوان الشريف الرضي، بيروت: دار صادر، 1426هـ

5.شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، القاهرة: دار المعارف، 1996.

6.شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، القاهرة: دار المعارف، 1995.

7.عبد الرحمن بدوي، الزمان الوجودي، القاهرة: دار النهضة العربية، 1983.

8.عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001

9.عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في العصر العباسي، القاهرة: دار النهضة العربية، 1987.

10.عبد العزيز عتيق، في الشعر الجاهلي، القاهرة: دار النهضة العربية، 1980.

11.عبد العزيز عتيق، في النقد الأدبي، القاهرة: دار النهضة العربية، 1985.

12.عبد الله الطيب، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، الخرطوم: جامعة الخرطوم، 1990.

13.علي جواد الطاهر، من قضايا الشعر العربي، (بغداد: دار الشؤون الثقافية، 1989.

14.محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، القاهرة: دار الحديث، 2000.

15.محمد مندور، الشعر العربي وروح العصر، القاهرة: دار نهضة مصر، 2001.

16.محمد مندور، في الميزان الجديد، القاهرة: دار نهضة مصر، 2004.

17.يوسف خليف، الحياة الأدبية في العصر الأموي، القاهرة: دار المعارف، 1983.

18.يوسف خليف، الدولة العباسية، القاهرة: دار المعارف، 1982.

References

1. Ihsan Abbas, Trends in Arabic Poetry, Beirut: Dar al-Thaqafa, 1999.

2. Ihsan Abbas, A History of Arabic Literature: The Islamic Era, Beirut: Dar al-Thaqafa, 1996.

3. Ihsan Abbas, Studies in Abbasid Literature, Beirut: Dar al-Thaqafa, 1998.

4. Shawqi Daif, The Second Abbasid Era, Cairo: Dar al-Ma'arif, 1996.

5. Shawqi Daif, Art and its Schools in Arabic Poetry, Cairo: Dar al-Ma'arif, 1995.

6. Abd al-Rahman Badawi, Existential Time, Cairo: Dar al-Nahda al-Arabiya, 1983.

7. Abd al-Aziz Hammouda, Convex Mirrors, (Cairo: The Egyptian General Book Organization, 2001)

8. Abd al-Aziz Atiq, Arabic Literature in the Abbasid Era, Cairo: Dar al-Nahda al-Arabiya, 1987.

9. Abd al-Aziz Atiq, On Pre-Islamic Poetry, Cairo: Dar al-Nahda al-Arabiya, 1980.

10. Abd al-Aziz Atiq, On Literary Criticism Cairo: Dar al-Nahda al-Arabiya, 1985.

11. Abdullah al-Tayyib, A Guide to Understanding and Crafting Arabic Poetry, Khartoum: University of Khartoum, 1990.

12. Ali Jawad al-Tahir, On Issues of Arabic Poetry, (Baghdad: Dar al-Shu'un al-Thaqafiyya, 1989).

13. Muhammad Hussein al-Dhahabi, Interpretation and Interpreters, Cairo: Dar al-Hadith, 2000.
14. Muhammad Mandur, Arabic Poetry and the Spirit of the Age, Cairo: Dar Nahdat Misr, 2001.
15. Muhammad Mandur, In the New Balance, Cairo: Dar Nahdat Misr, 2004.
16. Yusuf Khalif, Literary Life in the Umayyad Era, Cairo: Dar al-Ma'arif, 1983.
17. Yusuf Khalif, The Abbasid State, Cairo: Dar al-Ma'arif, 1